

« الوفاق » وازمة الشرق الاوسط

عبد القادر ياسين

قامت الدنيا ولم تقعد بعد ، منذ قيام الرئيس الامريكى ، ريتشارد نيكسون ، بزيارة كل من الصين والاتحاد السوفياتى ، في شباط (فبراير) و ايار (مايو) من العام الماضى على التوالي . وكانت الزيارتان بالفتى الدلالة ، ذلك أن زيارته للاولى جاءت بعد طول عداء ، بلغ حد انكار حكومة الولايات المتحدة لوجود الصين الشعبية ، بينما كانت زيارته للاتحاد السوفياتى اول زيارة يقوم بها رئيس امريكى منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ . وعلا للغط منذ زيارة السكرتير العام للحزب الشيوعى ، ليونيد بريجنيف ، للولايات المتحدة ، والتي تمت في حزيران (يونيو) الماضى . ومعروف أنه تم خلال زيارتي نيكسون وبريجنيف التوصل الى تسويات للعديد من المشاكل السياسية والاقتصادية التي تهم الطرفين ، لعل أبرزها مشكلة فيتنام ، والصفقات والاتفاقيات التجارية الضخمة التي وقعها الطرفان ، السوفياتى والامريكى .

ولعل من المسلم به ان ما يسميه البعض بـ « الوفاق » بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتى ، ان هو الا التعايش السلمى ، الذي طالما دعا اليه الاتحساد السوفياتى ، وعارضته ، بل وانكرته ، الولايات المتحدة الامريكية وبقية المعسكر الامبريالى . ومعروف ان الولايات المتحدة كانت قد نظمت ضد الاتحاد السوفياتى — منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية — حربا باردة هدفت من ورائها خلق الاتحاد السوفياتى وامنته ببطء ، وقد ارتكزت تلك الحرب الباردة الى احتكار الولايات المتحدة للقنبلة الذرية ، والى نجاحها في اقامة سلسلة محكمة من الاحلاف العسكرية (الاطلنطي ، البلقان ، بغداد ، جنوب شرقى آسيا) احاطت بالاتحاد السوفياتى وبالمعسكر الاشتراكى احاطة السوار بالمعصم .

وبعد انتقال أسرار القنبلة الذرية الى الاتحاد السوفياتى في اواخر الاربعينات ، وبعد اتساع رقعة المعسكر الاشتراكى ، ورسوخ هذا المعسكر ، وبعد تحول النظام الاشتراكى الى نظام عالمى ، وبعد تفوق الاتحاد السوفياتى في بعض المجالات العسكرية والعلمية غير الهيئة (الصواريخ الذرية العابرة للقارات — الغواصات الذرية — الوصول الى القمر عام ١٩٥٧) حاولت الاوساط العدوانية الامريكية تكثيف الحرب الباردة ضد المعسكر الاشتراكى وحركات التحرر وتصعيدها ، وتوصل جون فوستر دلاس ، وزير الخارجية الامريكية في الخمسينات الى الاستراتيجية حافة الحرب . الا ان هذه الاستراتيجية أنت متأخرة عن موعدها . اذ كان طبيعيا ان تخف حدة الحرب الباردة لا أن تشتد ، مما دفع بالولايات المتحدة الى اعتماد استراتيجية الحروب المحدودة ، التي قسمت بموجبها الدول الوطنية الى حلقات صغيرة ، تمهيدا لاسقاطها الواحدة تلو الأخرى ، باستخدام تكتيكات مختلفة : بالمستشارين العسكريين الامريكين ، فيالمرترقة ، واخيرا باللجوء الى سلاح التدخل العسكري المباشر . وكان طبيعيا — والامر كذلك — ان تتراجع المواجهة بين الدولتين الى مرتبة المواجهة المرننة .